بريطانيا العظمى وروسيا

(تابع ما قبلهُ)

اذا ارتاب احد فيما قلت (تجد ذلك في مقتطف يوليو) فعليهِ ان يراجع ما نشرهُ المستر كيلنغ وهو مهندس بريطاني كان في خدمة البلشفك وفرَّ من بتروغراد في شهر يناير الماضي. فقد ابان ان البلشفك يعطون الطعام للبعض ويحرمون البعض الآخر منهُ فينضم الرجال الى الجيش الاحمر لئلاَّ يموت اهلهم جوعاً. وان تسعة اعشار العمال يودون التخلص من البلشفك ولو خسروا كل شيء. وان واحداً من دعاة البلشفيك اخبرهُ ان الاحوال تجاوزت حد الاحتمال وانهُ يرجو ان تأتي بريطانيا حالاً وتخلصهم منها. وان الفلاحين يرحبون ببريطانيا وبكل حكومة تنقذهم من استبداد البلشفيك. وان المسألة الروسية ليست مسألة سياسية نظرية بل مسألة عطف على البشرية وانهُ يجب علينا ان نبادر الى تخليص الشعب الروسي من الرزايا التي اصابتهُ والاَّ قضي عليهِ

وقد قيل ان بعض الروس المعروفين الذين شاع ان البلشفيك قتلوهم لا يزالون احياء يرزقون. فظن البعض ان ما نسب الى البلشفيك من الجرائم قد بولغ فيهِ كثيراً. ولكن الادلة كثيرة لسوء الحظ على ان الحالة ليست كذلك فقد ذكر الكولونل جون ورد في كتاب من سيبيريا نشرتهُ الديلي اكسبرس ان مئات من رجال الثورة قتلوا رمياً بالرصاص بسبب آرائهم السياسية وان كل المعاهد العلمية خُرِّبت وقتل مئات من تلامذتها. وقال رئيس اساقفة اومسك في كتاب بعث بهِ الى رئيس اساقفة كنتربري ان البلشفيك قتلوا عشرين مطراناً وجماعة كبيرة من الكهنة ودفنوا بعضهم احياء. ويظهر من مصادر اخرى وثيقة ان الوفاً من الرعية الآمنة قتلوا والضباط عُذِّبوا ثم قتلوا والجرحى مُثِّل بهم قبلما ماتوا ومُثِّل بعيال الرجال الذين انتظموا في الجيش الوطني. ويعوزني الوقت لو اردت وصف هذه الفظائع بالتفصيل فأكتفي بذكر حادثة واحدة وهي من الحوادث التي تحدث كل يوم في الاماكن التي يتسلط عليها البلشفك. اخبرني رجل بريطاني عاد حديثاً من يلطا في بلاد القرم انهُ رأى جماعة من الضباط عُرُّوا من ثيابهم وطرحوا في البحر فقام

بعض الجرحى ومرضاتهم وحاولوا انقاذهم من الغرق فاغرقهم البلشفك معهم. وان جنود الجيش الاحمر يدخلون البيوت زاعمين ان غرضهم البحث عما هناك من الضباط او من الكتابات الممنوعة فينهبون ما في البيوت ويهتكون اعراض النساء . ولا يعلم عدد ضحاياهم ومع ذلك فالذين لا يزالون في قيد الحياة احق بالشفقة من الذين ماتوا لشدة ما يقاسيه اولئك من الجوع والضنك

ومن فظائع البلشفك فظيعةٌ لا يسعني السكوت عنها ولو قيل ان الغرض منها سياسي وهي ما فعلوهُ بعائلة القيصر فاني لم اكن مدافعاً قط عن الحكم الروسي الاستبدادي اما القيصر نفسهُ فكان شفوقاً رؤوفاً وليس كما يقول خصومهُ . وقد كانت روسيا في عهده اسعد وانجح مما يمكن ان تكون في عهد الحكومة الحاضرة . ولم يخطر على باله ولا على بال زوجتهِ ان يخونا بلادها او عهد الحلفاء. ولو حدث في روسيا في عهدها ما هو حادث الآن من الفظائع لقامت القيامة عليها. وما قيل عن قتلها يقال عن قتل كل الذين قُتلوا من الامراء اعضاء البيت القيصري ولاسيما الغراندوق نقولا ميخالوفتش الذي امتاز بمواهبهِ العلمية وذوقهِ الفني وهو مؤلف افضل تاريخ لزمن القيصر اسكندر الاول . وطالما تذاكرت معهُ في سياسة روسيا الداخلية واستمنت بهِ على جعل القيصر يزيد الحرية لشعبهِ . فقد فقدت روسيا بهِ رجلاً من افضل رجالها وفقدت انا صديقاً حميماً من انبل الاصدقاء

وقد اضاعت روسيا شأنها الآن في عالم السياسة وخسرت صوتها في مجتمع الدول لان ليس لها حكومة معترف بها . فانها استنفدت كل قواها في السنتين الاوليين ولم يبقَ فيها من القوة ما يكفيها الى نهاية الحرب . بذلت دمها وما لها ووقفت معنا غير متثاقلة لما كنا في مأزق حرج. ولها الفضل في انها وقفت ذلك الموقف بسالة فائقة الى ان تمكنا من تجنيد جنودنا الظافرة . ولولاها لسحق الالمان فرنسا قبلما استطعنا نصرتها ولكان الفوز في هذه الحرب لالمانيا .فينبغي علينا ان لا ننسى ان لروسيا نصيباً وافراً في فوزنا الاخير ولو لم نرَ علمها يخفق الآن الى جانب اعلام الحلفاء

افلا يجب علينا ان نوفيها دين الشرف الذي نحن مدينون لها بهِ . افلا يجب

علينا ان نخلصها من الورطة التي وقعت فيها . أنسيت الشعار المكتوب على علمنا. أنسينا اننا حاربنا لاجل الحرية والحق والعدل وان من اول اغراضنا ان نجعل هذه الارض اصلح مما كانت لسكن الانسان. اذا كنا منصفين وغير متقلبين في آرائنا واذا كنا لا نفرق بين الاستبداد الحربي الالماني والارهاب البلشفي الروسي فلا نستطيع ان نترك روسيا في سقطتها . فان لنين يسعى كما كان يسعى امبراطور المانيا لامتلاك العالم وقد جاهر قائلاً انهُ يقصد ان يقلب نظام اوربا حتى تصير السلطة العليا فيها للبلشفية . وصرّح قبل انقضاء الهدنة بان الالمان سوف يرفضون توقيع معاهدة الصلح فتنتشر البلشفية في المانيا وتتحد هي وروسيا على مناوأة الحلفاء الى ان تنتشر الثورة في كل الممالك الاوربية . وهو يحسب انهُ اذا انحصرت البلشفية في روسيا فقد قضي عليها فبذل اقصى جهده لكي يجعلها تنتشر في كل اوربا. فعلى ممالك اوربا ان تبادر الى تخليص روسيا من وباء البلشفية ان لم يكن حبًّا بروسيا نفسها فحبًّا بانفسهن لكي لا يصبن فريسة لهذا الوباء. وقد اشار البعض ان نقيم نطاقاً حول روسيا كالنطاق الصحي الذي يقام لمنع انتشار الطاعون اما انا فاعتقد ان اقامة هذا النطاق تكلفنا اكثر من استئصال الوباء في منابته وتكون قليلة الفائدة (وبعد ان وصف كيفية المساعدة الحربية التي يشير بها وهي على نحو ما هو جارٍ الآن ختم خطبتهُ بقولهِ)

ان مصلحتنا وشرفنا يطلبان منا ان نقابل هذا المشكل بالعزيمة الصادقة واذا احجمنا عنهُ ذهبت كل مساعينا وضحايانا في الحرب سدى. ان الصداقة بيننا وبين روسيا قديمة ابتدأت في القرن السادس عشر ونمت رويداً رويداً الى ان بلغت اوجها في حروب نبوليون ثم وقع من سوء الظن وسوء التفهم ما ابعد القلوب في عهد القيصر نقولا الاول وجاءت حرب القرم فكنت البغضاء بين بريطانيا وروسيا مدة نصف قرن . ثم تقربتا بعد سنة ١٩٠٧ الى ان جاءت الحرب الكبرى فتصافينا واتحدنا برباط من الدم ولولا البلشفية لبقي هذا الاتحاد الى ما شاء الله . ولا اتولى التكهُّن عما يجيء بهِ الغد لان المستقبل في علم الله ولكنني ارجو واتمنى انهُ لا يمضي وقت طويل حتى تتحد روسيا وتصير مملكة جديدة حرة وتصافحنا بيد الصداقة وتسير معنا جنباً الى جنب في سبيل السلام والنجاح والفضيلة والمجد